

د. سليمان بن سالم الحسيني  
باحث بمركز الخليل بن أحمد  
الفراهيدي، جامعة نزوى.  
salhusseini@unizwa.edu.om

## المهلب بن أبي صفرة في المؤلفات الأجنبية.

### الملخص:

تعنى الدراسة الحالية بالمهلب بن أبي صفرة في المصادر والمراجع العالمية غير العربية، وتحديدًا تلك المنشورة باللغة الإنجليزية. وتهدف الدراسة إلى التعرف إلى المصادر والمراجع التي عنيت بالمهلب بن أبي صفرة، وتحديد الموضوعات التي تطرقت إليه، وتأثير أصول المهلب العُمانية في تكوين شخصيته الفكرية والعملية. ولتحقيق أهدافها والإجابة على أسئلتها، اتبعت الدراسة المنهج التاريخي التحليلي الوصفي لتحليل محتوى عدد من الكتب والدراسات المنشورة باللغة الإنجليزية عن المهلب وسيرته وأعماله وإنجازاته. وتوصلت الدراسة إلى أن المهلب بن أبي صفرة شخصية عمانية عالمية، أثرت في تكوينها الفكري والعملية في عوامل الزمان والمكان التي عاشها، لا سيما ظهور الإسلام وانتشاره في بلاد العرب والفتوحات الإسلامية والانقسامات التي حدثت في المجتمع المسلم في صدر الإسلام، والخصوصية العُمانية التي تمثلت في الإسلام الطوعي والسلمي لأهل عُمان، وإسهامهم في دعم الدولة الإسلامية وتواصلهم واتصالهم المباشر مع الخلفاء في مركز الدولة الإسلامية والجمهور المسلم. وتوصي الدراسة بضرورة الاهتمام بالمصادر والمراجع العالمية التي كتبت عن المهلب بن أبي صفرة وتوفيرها للمهتمين من الباحثين والقراء.

الكلمات المفتاحية: المهلب. المصادر الأجنبية. عمان. آسيا.

## المقدمة:

تهدف الدراسة إلى تتبع المصادر والمراجع المكتوبة باللغة الإنجليزية والمنشورة من دور نشر عالمية وتناولت شخصية القائد العُماني المهلب بن أبي صفرة للتعرف على جوانب شخصيته والموضوعات المتعلقة بحياته وأنشطته التي تناولتها تلك المراجع بالدراسة والتحليل. وتهدف الدراسة كذلك إلى فهم تأثير أصول المهلب العُمانية في توجهه الفكري، وإسهاماته في الأحداث السياسية والعسكرية في صدر الإسلام، لا سيما أنه كان قائداً عسكرياً، وزعيماً قُبلياً قاد الجيوش الإسلامية في فتوحات فارس والهند وأفغانستان، وشارك في الحرب على الخوارج الأزارقة، وترك ذرية تولّت المناصب العسكرية والإدارية في العراق وشمال إفريقيا وعمان وشرق آسيا.

وتطرح الدراسة الأسئلة البحثية الآتية:

- ما المصادر والمراجع العالمية المكتوبة باللغة الإنجليزية التي عُنيت بشخصية القائد العُماني المهلب بن أبي صفرة؟
- ما الموضوعات التي اهتمت بها تلك المصادر والمراجع في تناولها لشخصية المهلب بن أبي صفرة؟
- كيف أثرت أصول المهلب بن أبي صفرة العُمانية في تكوين توجهه الفكري وإسهاماته السياسية والعسكرية؟

وللإجابة عن الأسئلة البحثية السابقة تُتبع الدراسة المنهج التاريخي التحليلي الوصفي لتحليل محتوى عدد من الكتب والدراسات التي كتبت باللغة الإنجليزية وتطرقت إلى شخصية المهلب بن أبي صفرة، وأدواره في الأحداث التاريخية في صدر الإسلام، وما تركه من إرث وإنجازات على الساحة الإسلامية والعربية والعُمانية.

أولاً، المصادر والمراجع العالمية المكتوبة باللغة الإنجليزية التي عُنت بشخصية القائد العُماني المهلب بن أبي صفرة:

تتنوع المصادر والمراجع المكتوبة باللغة الإنجليزية التي عُنت بشخصية المهلب بن أبي صفرة بين الموسوعات، والدراسات الجامعية، والبحوث المنشورة في الدوريات الأكاديمية، والكتب، والأعمال المترجمة من اللغة العربية. وتتنوع اهتمامات تلك المراجع والمصادر وتعدد أماكن إصدارها ونشرها، وتتناول الدراسة الحالية النماذج الآتية:

#### ١- الموسوعات:

فقد كَتَبَ عن المهلب بن أبي صفرة (موسوعة الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط- Medieval Islamic Civilization: an encyclopedia) الصادرة عن دار (روتليج - Routledge) اللندنية للنشر عام ٢٠٠٦. وقد خصصت هذه الموسوعة مدخلاً عن (عُمان) ذُكر فيه أن المهلب بن أبي صفرة من الشخصيات العُمانية التي هاجرت إلى البصرة في صدر الإسلام، وكان لها شأن ومكانة في المجتمع البصري والدولة الأموية<sup>(١)</sup>.

#### ٢- الدراسات الجامعية:

أنجز (جاسون فان ريل - Jason van-Riel) دراسة ماجستير بقسم الدراسات العربية والحضارية، بالجامعة الأمريكية بالقاهرة حملت عنوان (التجار الإباضيون في بلاد السودان - The Ibādī Traders of Bilād al-Sūdān)، ناقش في الفصل الثاني من دراسته النشاط التجاري للمهلب بن أبي صفرة وعائلته وأثر ذلك في المجتمع الإباضي في البصرة والمناطق الأخرى من الدولة الإسلامية؛ لا سيما المغرب العربي وامتداده إلى القارة السوداء<sup>(٢)</sup>.

1) AlNaboodah, Hassn (2006). Oman. In Mery, Josef (Ed.). Medieval Islamic Civilization: an encyclopedia Vol. 2. London: Routledge.

2) Van-Riel, J.H. (2012). The Ibādī Traders of Bilād al-Sūdān. Unpublished Master thesis, The American University in Cairo, School of Humanities and Social Sciences.

### ٣- البحوث المنشورة في الدوريات المُحكَّمة:

نشر الباحث الهندي أس أم يوسف في (دورية الثقافة الإسلامية) التي تصدر بحيدرآباد بالهند بحثين، الأول<sup>(١)</sup> في عام ١٩٤٣ والآخر<sup>(٢)</sup> في عام ١٩٤٤ ركز فيهما على شخصية المهلب واستراتيجياته العسكرية في الحروب والفتوحات.

### ٤- الكتب:

ويأتي كتاب (الهند: تكوين العالم الهند-إسلامي، ج ١- India: the making of the Indo-Islamic world vol. 1)، تأليف (أندري وينك - Andre Wink)، منشورات بريل أكاديمي، بوستن، من بين الكتب التاريخية التي عُنيت بتاريخ دخول الإسلام إلى الهند، وناقش دور العُمانيين في الفتوحات الإسلامية في فارس والهند والمناطق المجاورة وعلاقة المهلب بن أبي صفرة بتلك الفتوحات<sup>(٣)</sup>.

### ٥- الكتب المترجمة من اللغة العربية:

ومن الكتب المترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية التي سلطت الضوء على المهلب بن أبي صفرة كتاب (عائلة إسلامية مبكرة من عُمان: سيرة المهالبة لدى العوتبي - An early Islamic family from Oman: Al-Awtabi's account of the Muhallabids)، الناشر: جامعة مانشستر، المملكة المتحدة<sup>(٤)</sup>. فهذا الكتاب هو ترجمة وتحقيق للجزء المتعلق بالمهلب بن أبي صفرة في كتاب (الأنساب) للعلامة أبي المنذر سلمة بن مسلم العوتبي العُماني. والعوتبي فقيه ولغوي ومؤرخ عُماني من القرن الخامس الهجري، يرى أن معرفة الأنساب تشكل أهمية للعلوم الإسلامية؛

1) Yusuf, S. M. (1943). Al-Muhallab bin Abi Sufra: his strategy and qualities of generalship. Islamic Culture. Vol. XVII, No. 1, pp 1-14.

2) Yusuf, S. M. (1944). Al-Muhallab bin Abi Sufra. Vol. XVIII, No. 2, pp 131-144.

3) Wink, Andre (2002). Al-Hind, the Making of the Indo-Islamic World. Boston, Brill Academic Publishers, , ISBN 0-391-04173-8.

4) Hinds, Martin (1991). An early Islamic family from Oman: Al-Awtabi's account of the Muhallabids. Manchester: University of Manchester.

لا سيما الأدب والفقه والحديث؛ "لأن طالب العلم والحديث إذا لم يكن يدري علم النسب وسمع حديثاً قد صُحِّفَ فيه اسم أحد على غير جهته، أو نقل من قبيلة إلى غيرها جاز عليه ذلك، وإذا كان بالأنساب عالماً، وبالأخبار عارفاً أنكر ذلك ورده إلى نسبه واسمه وأتى بالصواب في موضعه وحقيقته أصله"<sup>(١)</sup>.

ثانياً، الموضوعات التي اهتمت بها تلك المصادر والمراجع في تناولها شخصية المهلب بن أبي صفرة:

تؤكد الدراسات السابقة أن المهلب بن أبي صفرة أزدي عُمانى هاجر إلى العراق ضمن الجيش الإسلامي الذي أمر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في سنة ١٦هـ / ٦٣٧م واليه على عُمان عثمان بن أبي العاص الثقفي بتشكيله من قبائل عُمان والبحرين لفتح أرضين الإمبراطورية الساسانية الفارسية المطلة على الخليج العربي منطلقاً عبر البحر من ميناء مدينة جلفار العُمانية (رأس الخيمة) حالياً. وتؤكد الدراسات السابقة كذلك أن الصبغة العسكرية والمهمة القيادية العسكرية التي خرج بها أبو صفرة من عُمان ضمن ذلك الجيش ومعه أولاده، ومنهم المهلب بن أبي صفرة موضوع الدراسة الحالية، واثان آخران من القادة العسكريين العُمانيين وهم صبرة بن شيبان الحداني ومالك بن زيد الجهضمي ونحو ثلاثة آلاف مقاتل من قبائل الأزدي، والنجاحات التي حققتها تلك المهمة، هي التي أبرزت المهالبة إلى الواجهة السياسية والاجتماعية في صدر الإسلام، وأعطتهم مكانة مرموقة على المستوى الشعبي والنخبوي في مركز الدولة الإسلامية بالحجاز والعراق والشام. فيقول مارتن هندز: "تبدأ نجاحات هذه الأسرة بخروج أبي صفرة من عُمان ضمن وفد أرسل لفتح فارس. وبعد نحو عشر سنوات، شارك أبو صفرة في المعارك التي وقعت في أقصى الشرق، إلا أنه استقر في آخر المطاف في البصرة التي أصبحت مقراً لأسرة المهالبة، التي استمرت في الحفاظ على علاقتها مع عُمان قائمة"<sup>(٢)</sup>.

(١) العوتبي سلمة بن مسلم، الأنساب، تحقيق: د. محمد إحسان النص، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ٢٠٠٦، ج٢، ص ٥٣.

(٢) Hinds, (1991), ص ١.

وتؤكد (موسوعة الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط- Medieval Islamic Civilization: an encyclopedia) أن المهلب بن أبي صفرة أزدى عُماني من العُمانيين الذين هاجروا إلى البصرة، وأنه كان من قادة المجتمع العُماني الذي كُون جزءاً من التركيبة السكانية للبصرة بشكل خاص، والعراق بشكل عام، وكان له دور في كثير من الأحداث في ذلك العصر. وفي حين انضوى العُمانيون المهاجرون إلى العراق تحت مظلة السلطات الحاكمة في مركز الدولة الإسلامية بدءاً من الخلفاء الراشدين ثم الدولة الأموية وبعدها الدولة العباسية، احتفظوا في الوقت نفسه بعلاقات اجتماعية فيما بينهم وبالتواصل المستمر مع بلدهم الأم عُمان. فقد ورد في هذه الموسوعة: "هاجر الكثير من سكان عُمان، التي تعود أصولهم إلى قبائل الأزد، إلى البصرة في العصور الإسلامية المبكرة وشكلوا جزءاً مهماً من جيش الأمويين. وقاموا كذلك بقيادة المهلب بن أبي صفرة بدور كبير في الشأن الداخلي في العراق. وفي الحقبة الأموية، احتفظ العُمانيون المهاجرون إلى العراق بعلاقتهم الوطيدة مع عُمان نفسها، وبعد فشل ثورة يزيد بن المهلب في عام ٧٢٣م عاد الكثير منهم إلى عُمان. وناصر الكثير من العُمانيين في البصرة الحركة الإباضية الناشئة التي سميت باسم عبدالله بن إباض، أحد القادة الأوائل للخوارج الذي رفض استعمال العنف ضد الحاكم غير العادل. لذلك يشكّل هذا المجتمع بؤرة المذهب الإباضي"<sup>(١)</sup>. وتوضح الموسوعة كذلك أن "عُمان، اسم مستعمل منذ العصور الكلاسيكية لوصف الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية؛ فاسم عُمان موجود في المصادر القديمة، واستمر استعماله في العصور الوسيطة وما بعدها. وبعد وفاة النبي محمد في عام ٦٣٢م، أصبحت عُمان جزءاً من الخلافة الإسلامية"<sup>(٢)</sup>.

وناقش مارتن هندز خصائص شخصية المهلب بن أبي صفرة ودوره التاريخي في فتوحات فارس. ويرى هندز أن أهمية ما كتبه العوتبي عن المهلب بن أبي صفرة في كتاب (الأنساب) تكمن في أنها تمثل الرواية أو الرؤية العُمانية للأحداث التي جرت

(١) AlNaboodah. (2006). ص ٥٧٥.

(٢) نفسه، ص ٥٧٥.

في تلك الحقبة المبكرة من الدولة الإسلامية، فمن وجهة نظره: "النص بأكمله له أهمية خاصة باعتباره يمثل الحقيقة التاريخية من الجانب العُماني، أي أنه تناقل لما تم جمعه محلياً عن تلك الأسرة العُمانية التي قامت، من دون غيرها من الأسر، بالكثير من الأعمال على مسرح الأحداث في المرحلة المبكرة من تاريخ الإسلام"<sup>(١)</sup>. والدور المحوري للمهلب بن أبي صفرة في كثير من الأحداث المهمة والمحورية في صدر الإسلام، وإسهام العُمانيين في الفتوحات الإسلامية في فارس وخراسان وغيرها من مناطق الشرق، هي الدافع الأساس لاهتمام مارتن هندز بكتاب (الأنساب) للعوتبي؛ إذ يقول في هذا الصدد: "تكمن أهمية كتاب الأنساب للعوتبي في كونه مصدرًا للمعلومات عن قبيلة الأزدي، والأزد محل التساؤل هم أزد عُمان وليسوا أزد السراة. [...] والجزء الأكثر أهمية في القسم الذي يتحدث عن الأزدي في كتاب العوتبي هو الجزء المعني بالعائلة الأزديّة المعروفة باسم المهالبة، الذين برز حظهم في مستهل الأمر بوالد المهلب، أبي صفرة، ظالم بن سارق العتكي، الذي ينحدر منه عدد من الأبناء غير المهلب نفسه. فقد أصبح لهذه العائلة تأثير بدأ ببداية الفتوحات الإسلامية في عام ٦٣٠م وامتد إلى ما يقارب المائتي عام"<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد هندز كذلك أن كتاب العوتبي أضاف معلومات تاريخية، ليس فقط عن المهلب وأسرته؛ وإنما عن دور القبائل العُمانية في الفتوحات الإسلامية المبكرة في فارس، أهملتها عدد من المصادر الإسلامية الأخرى؛ لا سيما تلك التي سبقت العوتبي واعتمدها مصادر لكتابه. فالعوتبي لم يكتفِ بالنقل من كتب المؤرخين والرواة الذين جاؤوا من قبله مثل (المعارف) لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، و (تاريخ الرسل والملوك) لأبي جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، و (الاشتقاق) لابن دريد (ت ٣٢١هـ)، بل أضاف إليها معلومات من عنده؛ مما يجعل كتاب العوتبي يمتاز عن غيره من المصادر باحتوائه على معلومات مميزة وفريدة عن تلك الحقبة والشخصيات التي عاشت فيها. يقول هندز: "إن هذا القسم من الكتاب يقدم إلى جانب ما ذكرناه سابقاً عن العمليات العسكرية العربية في فارس، عددًا من

(١) Hinds. (1991) ص ٢.

(٢) نفسه، ص ١.

البنود ذات الأهمية الخاصة"<sup>(١)</sup>. وعُدَّ مارتن مجموعة من خصائص كتاب (الأنساب) وميزاته منها: أن الكتاب ذكر للمهلب عددًا من الأبناء وأمهاتهم، لم يرد ذكرهم في الكتب الأخرى التي عُنيَت بالمهلب وأسرته. وذكر مارتن كذلك أن المعلومات التي تتعلق بالحبال السود التي أحضرها الجنود الفرس معهم في معركة (نابيجان) بناءً على تعليمات (يزدجرد) لكي يربطوا بها الجنود العرب تظهر مدى اهتمام العوتبي بإظهار الغطرسة الفارسية، فالساسانيون لم يتوقعوا الهزيمة على يد هؤلاء العرب العابرين إليهم من عُمان والبحرين التي كانت مدة طويلة تحت الهيمنة الساسانية، في حين أن ما حدث هو العكس. فقد هَزَمَ العربُ في هذه المعركة الساسانيين، وقتلوا (شهرك) قائد الجيش، وتقدموا في العمق الفارسي إلى مدينة (تُوج) ليلتحموا منها بحاميات الجيش الإسلامي المرابط في البصرة. ويؤكد مارتن كذلك أن المعلومات التي ذكرها العوتبي عن الجماعات التي استقرت بالبصرة والكوفة في تلك المرحلة المبكرة من الفتوحات في العراق وفارس تتفق مع ما ورد في المصادر الأخرى. ورواية العوتبي عن المكانة التي حظي بها أبو صفرة لدى الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، وتعيين الإمام علي المهلبَ في منصب قيادي رفيع تحفل بمعلومات لم تتطرق إليها المصادر الأخرى إلا بالشيء اليسير والمقتضب. كما تفرَّد العوتبي بمعلومات عن وفاة أبي صفرة في البصرة وإسطنبولاته بها. ويرى مارتن كذلك أن المعلومات التي أوردها الكتاب عن مشاركة أبي صفرة وابنه المهلب في الفتوحات الأولى التي قادها عبد الرحمن بن سمرة في خراسان في منتصف العقد الرابع الهجري موثقة بشكل رائع<sup>(٢)</sup>.

وقد سعد اسم المهلب بن أبي صفرة إلى الواجهة في حقبة مبكرة من صدر الإسلام كشخصية قيادية عسكرية واجتماعية فاعلة ومؤثرة في الساحة الإسلامية. فبرز المهلب أولاً نتيجة مشاركته مع والده في الحروب التي خاضها ضد الإمبراطورية الفارسية. "وقد أثبت المهلب بن أبي صفرة مكانته في الحروب

(١) نفسه، ص ٦.

(٢) نفسه، ص ٦.

والحملات العسكرية التي استهدفت الشرق، وفي الحملات العسكرية الناجحة والمؤثرة ضد ثورات الخوارج في المناطق الواقعة تحت نفوذه. وقد أوصلته نجاحاته تلك ليصبح والي خراسان<sup>(١)</sup>.

وفي دراسة بعنوان (الفتوحات العربية الأولى في بلاد فارس - The first Arab conquests in Faris) لمارتن هندز توصل هندز إلى أن الحملة العسكرية التي انطلقت من عُمان بقيادة عثمان بن أبي العاص الثقفي والي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على عُمان وبأوامره المباشرة وشارك فيها أبو صفرة والد المهلب هدفت إلى اجتثاث قوات الإمبراطورية الساسانية التي أخذت في التجمع في المناطق الساحلية بين سيراف وفارس بعد هزيمتها في معركة جلولاء بالعراق في عام ١٦هـ/٦٣٧م. وقد نصّت أوامر أمير المؤمنين عمر، المتعلقة بعُمان، على أن يدعم حاكما عُمان عبد وجيفر ابنا الجلندي واليه على عُمان آنذاك عثمان بن أبي العاص بقوة عسكرية من القبائل العُمانية وأن يعبر عثمان بن أبي العاص بتلك القوة إلى الجانب الفارسي من الخليج لمواجهة القوات الساسانية، ومنعها من إعادة تكوين نفسها، وقطع الطريق البحري أمام أي قوة يمكن أن تبجر من هرمز تجاه العراق. كانت جلفار- رأس الخيمة- الميناء العُماني الذي انطلقت منه القوات العُمانية البحرينية المشتركة بحرًا إلى جزيرة (بن كاوان- التي يرجح أنها جزيرة قشم الحالية)؛ إذ التحمت بقوة ساسانية يقودها حاكم كرمان. وقد مهدت هزيمة القوات الساسانية الطريق للقوة العسكرية القادمة من عُمان للتقدم برًا إلى مدينة (تُوج) التي أصبحت بعد فتحها على يد هذه القوات مصرًا إسلاميًا ومركزًا لتجمع الجيوش شرق البصرة؛ وبذلك فقد أمنت هذه القوة خطًا ساحليًا في البر الفارسي بطول ٥٠٠ كم ممتد من مضيق هرمز إلى ما بعد بندر عباس، وفتحت الطريق إلى البصرة مقر القاعدة العسكرية الإسلامية في العراق التي تنطلق منها الجيوش لفتح الشرق؛ فالفتوحات التي قام بها العُمانيون في بلاد فارس إضافة إلى أنها أول الفتوحات الإسلامية في شرق العراق؛ فإنها مهدت السبيل لنجاح الحملات العسكرية التي قامت بها الجيوش الإسلامية بعد ذلك

(١) نفسه، ص ٢.

منطلقةً من قواعدها في العراق<sup>(١)</sup>.

ويرى أندري وينك<sup>(٢)</sup> أن العوامل التي ساعدت العُمانيين على تحقيق التقدم العسكري في فارس ومكنتهم من إلحاق الهزيمة بالقوات الساسانية تتمثل في العلاقة التاريخية التي ربطت العُمانيين بفارس، ومهارات العُمانيين البحرية، وإسهامهم في التجارة البحرية في الخليج والمحيط الهندي. وتعود تلك العلاقة التاريخية إلى بداية عهد الإمبراطورية الساسانية التي مدّت نفوذها إلى الجزء العربي من الخليج بما في ذلك عُمان والبحرين، يقول وينك: "كان الفرس الساسانيون القوة التجارية المهمة في الجزء الغربي من المحيط الهندي في القرنين الخامس والسادس. ووقعت عُمان والبحرين تحت نفوذ فارس في الحقبة الأخمينية. فقد أولى أردشير (مؤسس الإمبراطورية الساسانية) سواحل الجزيرة العربية اهتمامًا كبيرًا وصعد إلى أعلى مستوى الحملات البحرية التي استهدفت هذه المنطقة، ونقل أعدادًا كبيرة من قبيلة الأزد العُمانية إلى فارس وإلى الساحل الواقع بين كرمان ومكران. وكان العرب الذين نقلهم أردشير إلى فارس بحارةً وتجارةً، وكانوا يدينون بالزرادشتية حتى ظهور الإسلام، وهيمنوا على نقاط التجارة البحرية الممتدة حتى الساحل الغربي للهند. وقد عزز شهبور (٧١-٢٤١هـ) من السيطرة الفارسية في عُمان"<sup>(٣)</sup>. وفي بداية القرن السابع الميلادي، أي قبل ظهور الإسلام، "أصبح الإبحار على جانبي الخليج الفارسي تحت هيمنة الفرس. وأصبحت الموانئ العُمانية الرئيسية مثل صحار ودبا، التي يرتادها تجار يتاجرون مع السند والهند والصين، يديرها ملك أزدي عربي ومعه حاكم فارسي"<sup>(٤)</sup>. "لذلك؛ فإنه ليس من الصدفة أن يكون لقبيلة أزد عُمان قصب السبق من بين العرب في فتح فارس ومكران والسند، وأن يصبحوا هم القبيلة المهيمنة لفترة طويلة على الجزء الشرقي من الخلافة الإسلامية. فمذ

1) Hinds, Martin. (1984). The First Arab Conquests in Fārs, Iran, 22:1, 39-53, DOI: 10.1080/05786967.1984.11834297

Wink. (2002) (٢)

(٣) نفسه، ص ٤٨.

(٤) نفسه، ص ٥١.

عهد (أردشدير) انتشرت على سواحل كرمان ومكران مستوطنات يقطنها هؤلاء العرب الذين أصبحوا عرب فارس، وانتظموا في أعمال تجارية وصلت حتى السند. ولم تقف أعمالهم التجارية عند الشراكة في أعمال تجارية مع التجار الهنود غرب المحيط الهندي فحسب؛ وإنما كانوا يصدرون الخيول العربية التي تجد لها طلباً قوياً في السوق الهندي. ومع التوسع الإسلامي عزز الأزد من قوتهم التجارية وسلطتهم السياسية في المنطقة. ففي السنوات الأولى من الهجرة قام المسلمون بغزواتهم البحرية إلى فارس والهند من عُمان والبحرين، أي من الموانئ التابعة للأزد. وهيمن الأزد والقبائل المتحالفة معهم من عُمان والبحرين منذ عام ٦٢٧م على الفتوحات الإسلامية في فارس ومكران<sup>(٥)</sup>.

ويؤكد أندري وينك أن المهلب بن أبي صفرة كَوَّن لنفسه مكانة مرموقة ودوراً مؤثراً وفاعلاً في البصرة، "وأصبح أزد عُمان هم المهيمنون على البصرة، [...]، وأصبحت مكانتهم أكثر شأنًا عندما سيطر أحد أفراد هذه القبيلة وهو المهلب بن أبي صفرة على البصرة وأصبح قائد الفتوحات في خراسان وكرمان والجبهات الهندية؛ حينئذ تعززت فتوحات مكران التي كان يقطنها منذ أمد بعيد بعض قبائل الأزد، بل وامتدت الفتوحات إلى السند. وقد أصبح الأزد أكثر ثراءً"<sup>(٦)</sup>.

وتوجت مكانة المهلب في العراق عندما اختاره أهل البصرة لقيادة العمليات العسكرية ضد قطري بن الفجاءة الذي تبنى نهجاً تكفيرياً متشدداً تجاه المجتمع المسلم في العراق، وشكلت جماعته الأزارقة تهديداً للأمن والسلم؛ لا سيما في البصرة مقر إقامة المهلب وقومه. وقد عني الباحث الهندي إس أم يوسف بالإستراتيجية العسكرية التي طبقها المهلب بن أبي صفرة في حربه على الأزارقة بين عامي ٦٦ - ٧٨هـ / ٦٩٦-٧٠٨م، محللاً الشروط التي وضعها المهلب لقبول قيادته للحرب، والعمليات العسكرية التي قام بها التي أدت إلى تحقيق النصر وهزيمة الأزارقة، وموقف المهلب من السلطة الأموية. ويؤكد يوسف أن الطلب الملح من أهل البصرة هو الذي دفع المهلب إلى قيادة الحرب ضد الأزارقة، ولم يكن

(٥) نفسه، ص ٥٢.

(٦) نفسه، ص ٥٢.

دافعه لخوض تلك الحروب تنفيذ أوامر السلطة الأموية الحاكمة؛ فلم تصدر إليه أوامر بهذا الشأن من الخليفة أو واليه. وهذا القول يتفق مع ما ذكره العوتبي بأن المهلب "لم يولّه عليهم السلطان، وإنما ولّاه جميع وجوه العرب إذ عجزوا عن موضعه"<sup>(١)</sup>؛ وذلك عندما اجتمعوا عند الوالي الأموي على البصرة الحارث ابن عبد الله المخزومي فاعتذر لهم عن معرفته بأي شخص يمكن أن يواجه الأزارقة بعدما ألحقوا الهزيمة بحملتين عسكريتين توجهتا من البصرة لقتالهم، "فقالوا له ملّ إلى المهلب، فلعله يتولّى حربهم، فإنه إن فعل وقبل منا ومنك فإننا رجونا أن يدفع الله عدونا ويكفيننا أمرهم"<sup>(٢)</sup>. "والشروط التي وضعها المهلب تعبر عن مدى الرؤية المستقبلية التي يتمتع بها، وقدرته على التخطيط المنظم لصالح الحملة التي سيقودها؛ فقد ضمن لنفسه قبل كل شيء الموارد التي يتمكن بها من خوض حرب لا يعيقه فيها شيء ولا تتدخل في شؤونها أي سلطة أخرى"<sup>(٣)</sup>.

وفي الجانب العسكري جنّد المهلب تحت إمرته اثني عشر ألف محارب يمثلون سائر مكونات المجتمع البصري ممن ضمن ولاءهم ورغبتهم في خوض الحرب تحت إمرته. وفي الجانب المادي حصل المهلب على موافقة تجار البصرة على تقديم الدعم المالي لحملته العسكرية بعدما اقتنعوا بأن المهلب هو أملهم الوحيد في مواجهة الأزارقة الذي خنقوا الحركة التجارية في البصرة بسيطرتهم على الأهواز وفارس وهيمنتهم على المصدر الرئيس للمواد الخام التي يعتمد عليها سوق البصرة؛ إذ عرّضوا تجار البصرة إلى خسائر مالية كبيرة. وفي الجانب اللوجستي اعتمد المهلب في البداية على الإمكانات العسكرية المحدودة للبصرة، واستثمر كل شيء ممكن حتى الحجارة، واستغل القوارب في تنفيذ خطة لعبور النهر لمهاجمة الأزارقة في مكان تجمعهم وراء نهر بعد أن أحرق الجسر. وقد أثبت المهلب قدراته العسكرية منذ أول معركة خاضها ضد الأزارقة في معركة الجسر على بعد ١٢ ميلاً شرق البصرة؛ إذ تمكن بمعية ابنه المغيرة الذي قاد أحد الفرق الحربية المساندة من هزيمة جيش الأزارقة، وإجباره على إخلاء مواقعه والتقهقر نحو

(١) العوتبي، مرجع سابق، ص ٦٠٤.

(٢) نفسه، ص ٦٠٤.

(٣) Yusuf. (1944). ص ١٢٥.

الشرق، وفك الحصار عن البصرة. وتكلت جهود المهلب بالنصر العسكري التام على الأزارقة في عام ٧٨هـ / ٦٩٨م. وفي هذا الشأن يقول يوسف: "لقد كان المهلب استراتيجياً عسكرياً، واجه مشكلة جديدة من نوعها بمنهج وأسلوب جديد من نوعه. لقد حاز بكل امتياز معرفة بآليات الحرب، وإدراكاً ذكياً بالجوانب النفسية والسيكولوجية لأعدائه، ودبلوماسية متزنة، ومعرفة بكل الإشكاليات والصعوبات المتصلة بالحرب مثل الطبيعة الطبوغرافية للأرض، والنقل والتموين"<sup>(١)</sup>.

يرى جاسون فان ريل، الذي عني بدراسة الجانب التجاري في حياة المهلب ابن أبي صفرة وعائلته، أن المهلب بن أبي صفرة لم يكن قائداً عسكرياً أو زعيماً قبلياً وحسب؛ وإنما كان تاجراً وصاحب رؤوس أموال ضخمة، وارتبط هو وأفراد عائلته بعلاقات تجارية مع تجار البصرة والأقطار الأخرى؛ لا سيما خراسان وفارس وعمان وشمال إفريقيا. وقد استثمر المهلب في ممارساته التجارية، إلى جانب مكانته الاجتماعية، موقع البصرة التجاري الاستراتيجي المرتبط بطرق مائة وبرية مع فارس وشبه الجزيرة العربية والخليج، ومركز جذب لكثير من التجار المحليين والقادمين من الأجزاء الأخرى من العالم الإسلامي. ونتيجة لذلك؛ كون المهلب وأسرته ثروة هائلة وشبكة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والتجارية مع أطراف المجتمع المختلفة؛ لا سيما المجتمع الإباضي في البصرة الذي يجمعه بالمهلب، إضافة إلى الانتماء الفكري، الانتساب إلى قبيلة الأزدي والوطن الأم عمان، الذي هاجروا منه وما زالوا على علاقة به. فيقول جاسون فان ريل: "كان المجتمع الإباضي في البصرة دائماً على علاقة حميمة مع عائلة المهالبة القوية والثرية التي تعود أصولها إلى قبائل الأزدي التي استقرت في البصرة في وقت مبكر منذ القرن الهجري الأول/ السابع الميلادي. ويقف على هرم أسرة المهلب القائد المعروف المهلب بن أبي صفرة (١٠-٨٢ / ٦٣٢-٧٠٢) حاكم خراسان من ٧٨هـ / ٦٩٧م إلى ٨٢هـ / ٧٠٢م، وابنه يزيد بن المهلب"<sup>(٢)</sup>. وقد امتدت علاقات المهالبة بالمجتمع الإباضي سياسياً وتجارياً خارج البصرة؛ لا سيما في شمال إفريقيا عندما عين

(١) Yusuf. (1943) ص ٢.

2) van-Riel, J.H.. (2012). The Ibāḍī Traders of Bilād al-Sūdān. Unpublished Master thesis, The American University in Cairo, School of Humanities and Social Sciences. P: 31.

العباسيون عددًا من أفراد أسرة المهلب حكمًا على إفريقيا في القرن ٢هـ/٨م. ونظرًا لاهتمام هؤلاء الحكام المهالبة بالتجارة ازدادت علاقتهم بالمجتمع الإباضي في شمال إفريقيا الذي كان يمارس التجارة لا سيما مع وسط إفريقيا. وأما في عُمان فإن العلاقات التجارية بقيت مستمرة من خلال التجارة البحرية؛ إذ كانت الموانئ والمدن البحرية العُمانية بمثابة نقاط الاتصال بين البصرة والهند والصين التي وصلها التجار العُمانيون والبصريون منذ القرن الأول الهجري.

وبما أن المهلب بن أبي صفرة شخصية قيادية فقد أثر في التكوين الفكري والعسكري لأبنائه الذين خاضوا معه الحروب واتبعوا نهجه في الرئاسة والزعامة. وبرز من بين هؤلاء الأبناء يزيد بن المهلب الشخصية العسكرية والقيادية الناجحة في خوض المعارك الحربية، وكسب الولاءات والأتباع، والقرب من السلطة الحاكمة. وبعد موت المهلب في عام ٧٠٢م، "تربّع يزيد على ولاية خراسان بعد أبيه المهلب؛ إلا أنه وقع في خديعة الحجاج بن يوسف فخلعه من منصبه. وبعد ذلك التجأ يزيد ابن المهلب إلى الأمير الأموي سليمان بن عبد الملك الذي أجاره من الحجاج. وعندما تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك عين يزيد بن المهلب واليًا له على العراق، إلا أن عمر الثاني خلعه من هذا المنصب عندما تولى الخلافة. وبعد ذلك قاد يزيد بن المهلب ثورة ضد الخليفة الأموي يزيد الثاني، إلا أنه هزم وقتل في عام ٧٢٠م"<sup>(١)</sup>.

وقد شكلت هزيمة يزيد بن المهلب على يد الجيوش الأموية ومقتله في معركة بابل بالعراق نهاية دور آل المهلب السياسي والعسكري في العصر الأموي، "فقد تمت ملاحقة آل المهلب في كل مكان، وقتل الكثير منهم وسلبت أموالهم وممتلكاتهم وتقلصت ثروتهم إلى أدنى حد في ثلاثين سنة"<sup>(٢)</sup>، إلا أن نهاية الدولة الأموية وصعود العباسيين إلى الحكم في عام ٧٥٠م أعاد لآل المهلب اعتبارهم ومكانتهم الاجتماعية والسياسية، "فقد تمكن سفيان بن معاوية أحد أحفاد يزيد بن المهلب من استعادة مكانة العائلة ونفوذها في العالم الإسلامي في ذلك الوقت

(١) (1991) Hinds، مرجع سابق ص ٢.

(٢) نفسه، ص ٢.

نتيجة الدعم الذي قدمه للعباسيين في ثورتهم ضد الأمويين<sup>(١)</sup>.

ثالثاً، أصول المهلب بن أبي صفرة العُمانية وأثرها في تكوينه الفكري  
واسهاماته السياسية والعسكرية في الدولة الإسلامية:

تأثرت شخصية المهلب بن أبي صفرة وتكوينه الفكري وأنشطته الحياتية بالأحداث التاريخية والتحويلات الجوهرية التي طبعت الحقبة التي عاش فيها وتفاعل مع أحداثها وظروفها. فقد ظهر المهلب بن أبي صفرة في مرحلة تحول تاريخي محوري تمثل في مبعث الرسول محمد ﷺ وانتشار الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية، بما فيها عُمان، والفتوحات الإسلامية خارج بلاد العرب؛ بما فيها فارس التي تربطها بعُمان علاقة تاريخية قبل الإسلام. وامتازت عُمان، إلى جانب دخولها السلمي والإداري في الإسلام، بإيمان أهلها العميق بفكرة الإسلام؛ الدين الذي شملت تأثيراته سائر حياة الفرد وجميع جوانب المجتمع العربي الدينية والفكرية والثقافية والسياسية والعسكرية، ومن أهم تلك التأثيرات تبعية عُمان الدينية والسياسية لمركز الدولة الإسلامية في المدينة المنورة آنذاك. ولم يكن تفاعل العُمانيين واستجابتهم الإيجابية للدين الجديد محصوراً على فئة معينة من أفراد المجتمع العُماني، كما لم يكن محدوداً على منطقة معينة دون أخرى من البلد، بل تجاوب العُمانيون على مختلف مستوياتهم السياسية والدينية والشعبية ومن كل ربوع عُمان ومناطقها ومدنها الساحلية والداخلية مع ذلك التغيير والحراك. وتمثلت بعض جوانب تفاعل المجتمع العُماني مع الإسلام في ذهاب بعض العُمانيين بأنفسهم إلى المدينة المنورة للقاء الرسول محمد ﷺ، وإعلانهم بين يديه إيمانهم به وقبولهم بدينه، ومن هؤلاء مازن بن غضوبة (ت ٢٥هـ)، أحد الزعماء الدينيين في سمائل قبل الإسلام؛ حيث ذهب مع أحد أصحابه إلى المدينة المنورة والتقى بالرسول محمد ﷺ، وأسلم على يديه وعاد إلى عُمان لنشر الإسلام والدعوة إلى الدين الجديد. وبعد وفاة الرسول محمد، تواصلت هجرات العُمانيين إلى الحجاز والعراق والشام بهدف تعلم الإسلام والمشاركة في جوانب الحياة الثقافية والعلمية والعسكرية والسياسية. ونتيجة لذلك التفاعل

(١) نفسه، ص ٢.

برز في تلك المرحلة المبكرة من الإسلام عدد من الشخصيات العُمانية التي كان لها حضور بارز على الساحة الإسلامية مثل التابعي الشهير جابر بن زيد (ت ٩٣هـ) الذي درس علوم الدين الإسلامي على كبار صحابة الرسول محمد، ﷺ، منهم ابن عمه عبد الله بن العباس الذي شهد لجابر بن زيد بالمكانة العلمية والقدرة على الفتوى. ومن الشخصيات العُمانية كذلك كعب بن سور الذي عينه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قاضياً على البصرة. وفي الجانب العسكري، حفظ التاريخ أسماء شخصيات عُمانية لها إسهامات؛ بل وتأثير على الساحة العسكرية مثل الصحابي عبد الله بن وهب الراسبي الذي شارك في فتوحات فارس. وتذكر المصادر التاريخية أن العُمانيين شاركوا في الصراعات التي دارت بين الصحابة أنفسهم؛ ففي معركة الجمل التي وقعت في البصرة في عام ٣٦ هـ / ٦٥٦ م حارب زيد بن صوحان العبدي العُماني مع الإمام علي بن أبي طالب، في حين أن صبرة بن شيمان الحدّاني العُماني قاتل مع أم المؤمنين عائشة في المعركة نفسها. لذلك يروي العوتبي أن الإمام علياً شكاً إلى أبي صفرة موقف قومه الأزدي الذين وقفوا مع خصومه في معركة الجمل، وقد ردّ عليه أبو صفرة مطيباً لخاطره ومؤكداً تعاطفه معه قائلاً "عز عليّ والله يا أمير المؤمنين، لو كنتُ حاضراً ما اختلف عليك منهم سيفان"<sup>(١)</sup>. وكان للعُمانيين حضور بارز في الصراع المسلح الذي دار بين الإمام علي بن أبي طالب وواليه على الشام معاوية بن أبي سفيان، وانتصاراً للشرعية التي مثلها الإمام علي في نظرهم.

وإضافة إلى قناعة العُمانيين بالإسلام، وتبنيهم فكرته وإسهامهم في تعزيزها ونشرها في داخل عُمان وخارجها، كانت عُمان في زمن ظهور الإسلام ومبعث الرسول محمد، ﷺ، كياناً مستقلاً، لها هويتها الحضارية وخصوصيتها السياسية وسمعتها وشهرتها على مستوى شبه الجزيرة العربية. وتلك الاستقلالية والخصوصية أشار إليها الرسول محمد، ﷺ، عندما قال لأصحابه في المدينة: "إني لأعلم أرضاً يقال لها عُمان ينضح بناحيتها البحر بها حي من العرب لو أتاهم رسولي ما رموه بسهم ولا حجر" (أخرجه الإمام أحمد). وقد أرسل الرسول محمد، ﷺ، وفداً خاصاً إلى عُمان

(١) العوتبي، مرجع سابق، ص ٦٠٠.

على رأسه رجل من قبيلة قريش التي ينتمي إليها الرسول نفسه؛ بل أحد سياسيتها المحنكين ودبلوماسيها المشهورين، وهو الصحابي عمرو بن العاص، ومعه رسالة موجهة من الرسول محمد شخصياً إلى ملكي عُمان عبد وجيفر ابني الجلندی، في عاصمة عُمان صحار آنذاك، يدعوهم فيها إلى قبول دعوته والإيمان برسالته والدخول في دين الإسلام. وقد تعامل العُمانيون مع موفد رسول الله بما يليق بمكانته. ويظهر سلوك ملوك عُمان وحنكتهم وسياستهم في التعامل مع الوفود والرسول.

وللتعبير مجدداً عن إيمانهم برسالة الإسلام والانتماء إلى الدولة الإسلامية والإخلاص لها والولاء للقيادة المركزية بالمدينة المنورة أرسل العُمانيون بعد وفاة الرسول محمد، وفداً رفيع المستوى إلى المدينة المنورة برئاسة عبد بن الجلندی التقى بالخليفة الأول أبي بكر الصديق وقدم إليه التعازي في وفاة الرسول وجدد له الولاء والطاعة للقيادة الجديدة.

وقد انتبه الخليفة الأول أبو بكر الصديق، إلى الأهمية العسكرية لعُمان وما يتمتع به العُمانيون من قوة قتالية وعدة وعتاد، ونبّه على ذلك في كلمته الترحيبية بالوفد العُماني قائلاً: "معاشر أهل عُمان إنكم أسلمتم طوعاً، لم يظأ رسول الله ساحتكم بخف ولا حافر، ولا جشمتموه ما جشمه غيركم من العرب، ولم ترموا بفرقة ولا تشنت شمل، فجمع الله على الخير شملكم. ثم بعث إليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح، فأجبتموه إذ دعاكم على بعد داركم، وأطعتموه إذ أمركم على كثرة عددكم وعدتكم"<sup>(١)</sup>. وقد فهم العُمانيون من حديث أبي بكر الصديق أنه يريد منهم المشاركة في الأعمال العسكرية للدولة الإسلامية، وفعلاً عين أبو بكر الصديق عبد بن الجلندی قائداً لسرية بها مجموعة من أهل المدينة منهم الصحابي حسان بن ثابت، شاعر الرسول، الذي أشاد بعبد وحزمه وحسن تدييره<sup>(٢)</sup>.

وما لبث الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أن استثمر إمكانات العُمانيين العسكرية بإشراكهم في الفتوحات الإسلامية في العراق وفارس بما في ذلك معركة

(١) الإزكوي، سرحان بن سعيد، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ٢٠١٣، ص ١٠٩.

(٢) نفسه.

القادسية ١٥هـ/٦٣٦م الشهيرة والحاسمة في تاريخ الصراع مع الإمبراطورية الساسانية. وإدراكاً من عمر بن الخطاب بالقدرات البحرية للعثمانيين وأنهم بحارة وملاك سفن وربابنة، إضافة إلى علمه بأهمية الموقع البحري الاستراتيجي لعمان، اختار عمان والعمانيين لينفذوا أولى الحملات البحرية في تاريخ الدولة الإسلامية، فانطلقت من عمان الحملة الحربية التي أمر واليه على عمان عثمان بن أبي العاص الثقفي بقيادتها لفتح الجبهة البحرية الشرقية من الدولة الساسانية. لذلك يؤكد مارتن هندز أن الفتوحات الإسلامية الأولى في بلاد فارس حدثت بين عامي ١٦-١٩هـ/٦٣٧-٦٤٠م وقام بها العمانيون إضافة إلى قبائل عبد القيس البحرينية وبقيادة عثمان بن أبي العاص الثقفي والي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على عمان وبأوامره المباشرة<sup>(١)</sup>.

وقد عاش المهلب بن أبي صفرة تلك التحولات الكبرى منذ نعومة أظفاره، واكتسب من أبيه سارق بن ظالم ومن قومه أهل عمان، معاني الانتماء للإسلام وفق مفاهيم العمانيين الذي اعتنقوا الإسلام بمحض إرادتهم ونالوا ثقة القيادة المركزية في المدينة المنورة ورضاهما، وتأكدت لديهم رغبة تلك القيادة في أن يقوم العمانيون بدورهم في دعم الدولة الإسلامية وتعزيزها ونشر الإسلام. فكان والد المهلب، أبو صفرة، سارق بن ظالم، أحد أعضاء الوفد العماني الذي ذهب إلى المدينة المنورة بقيادة عبد بن الجلندي، وتحدث باسم الوفد عندما التقى بأبي بكر الصديق وكبار الصحابة وناقش معهم الدور المتوقع من العمانيين في الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول محمد، ونقلوا إليهم حسن ثنائه على أهل عمان ومكانتهم لديه. وكان أبوه كذلك قائداً لأحد أجنحة الجيش الذي خرج من عمان بقيادة عثمان بن أبي العاص إلى فارس وإحراق الهزيمة بالقوة الساسانية المتجمعة عند مضيق هرمز والتقدم من هناك على طول الشريط الساحلي في البر الفارسي نحو العراق لتأمين ذلك الخط الساحلي وضمه إلى سيطرة الدولة الإسلامية.

وقد اكتسب المهلب، الذي كان لم يزل طفلاً عندما خرج أبوه من عمان لقيادة الأزديين في جيش عثمان بن أبي العاص في فتوحات الساحل الشرقي من

(١) Hinds, (١٩٨٤)

فارس، القيادة العسكرية، والزعامة القبلية، والانتماء للدولة الإسلامية والإخلاص لقيادتها المركزية في المدينة المنورة. فنظرًا لمكانة أبي صفرة في المجتمع رشّحه العُمانيون لعثمان بن أبي العاص في المشاورات التي أجراها معهم في الكيفية التي سينفذ بها أوامر أمير المؤمنين عمر. وتعززت مكانة أبي صفرة بالقوة التي جهزها من عُمان لدعم جيش عثمان بن أبي العاص؛ فقد خرج من عُمان بمائة ناقة ومائة فرس بقيت معه حتى وفاته. كما تعززت مكانته بالنجاحات والانتصارات التي حققها جيش عثمان بن أبي العاص في فارس، وبالمكانة التي حظي بها بعد استقراره هو وقومه الأزدي في البصرة؛ لا سيما أن البصرة قد قُسمت، حسب توجيهات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، بين القبائل على وفق الانتماء القبائلي؛ مما كرس من التبعية للقبيلة وعزز من مكانة زعماء القبائل وقادتها. ومما يؤكد على مكانة أبي صفرة في البصرة أن عبد الله بن العباس والي أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب على البصرة هو الذي تولّى الصلاة عليه يوم موته وقال "لقد دفننا اليوم سيد هذه النفرة"<sup>(١)</sup>.

وقد حرص أبو صفرة على تقديم أبنائه إلى القيادة الإسلامية، والمجتمع بشكل عام، أنهم محاربون وقادة وزعماء. فقد اصطحب أبو صفرة أبنائه عند مشاركته في الغزوات والحروب؛ حيث اصطحب ابنه المهلب في غزوة (سجستان) التي قادها عبد الرحمن بن سمرة القرشي سنة ٢١هـ/٦٥١م. وأثبت المهلب في هذه الغزوة جدارته الحربية وبسالته في أرض المعركة ونال إعجاب قائد الجيش عبد الرحمن بن سمرة القرشي وثقته ورضاه.

ثم ازداد صعود اسم المهلب كشخصية لها اعتبارها المستقل ودورها القيادي باللقاء الذي جمعه، بحضور والده أبي صفرة، بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه في عام ٣٦هـ/٦٥٦م؛ ففي هذا اللقاء حظي المهلب برضى أمير المؤمنين وقبوله وتقليده منصبًا قياديًا بارزًا ليصبح أحد القادة العسكريين للإمام علي، وممثله الشخصي لدى مناوئيه المنهزمين في معركة الجمل، ورسوله الذي حمل إليهم قرار الإمام علي بالعفو عنهم وطي صفحة الماضي وفتح صفحة

(١) العوتبي، مرجع سابق، ص ٦٠٢.

جديدة في العلاقة بهم. يقول العوتبي "وانطلق أبو صفرة بالمهلب وهو يومئذ له سبع وعشرون سنة، فأدخله على علي، فمسح من مقدم رأسه إلى قدميه، ومن ذؤابته إلى قدميه، وعقد له الراية وقال: اللهم ارزقه الشجاعة والسخاء والنهى. [...] وقال أخرج في أثر أهل البصرة نحو الأهواز والبادية، [...] فأمنهم عني وأخبرهم أن يرجعوا إلى منازلهم في أمان الله وذمة نبيه، فقد عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه<sup>(١)</sup>. وبعد انتقال الحكم إلى معاوية بن أبي سفيان استمرت علاقة المهلب بالخلفاء الأمويين وولاتهم في العراق. كما حافظ المهلب على مرجعيته القبلية ومكانته الاجتماعية زعيماً لقومه الأزدي ومرجعاً للعُمانيين المهاجرين إلى العراق؛ بل إن أداءه المميز في فتوحات خراسان تحت قيادة الحكم ابن عمرو الفزاري أكسبه رضا معاوية بن أبي سفيان وإعجابه ودعا له سعد ابن أبي وقاص في بلاط معاوية وبحضرته بأن لا يريه الله ذلاً وأن يكثر ماله وولده<sup>(٢)</sup>.

وإضافة إلى تأثر شخصية المهلب بالتنشئة العسكرية والزعامة القبلية، تأثر كذلك بالجو العلمي الذي كانت تصطبغ به تلك الحقبة من صدر الإسلام. ومثل سائر العُمانيين المهاجرين إلى العراق اهتم المهلب بالعلوم الإسلامية وأشعار العرب حتى أصبح من رواة الحديث والشعر ومن الخطباء المشهورين. يقول المؤرخ العوتبي "لم يكن في وقت المهلب في جميع العراق وقبائل العرب رجل يفني به في الحزم والعلم والصدق والأمانة والوفاء والرواية للحديث، والخطابة والبلاغة والشعر والبيان الذي ليس في الأرض مثله. وكان أجمع الناس للخصال المحمودة للرجال. ومن كمال عقله أنه لم يحضر فتنة قط. وكان أكثر وصاياه لأولاده بلزوم الطاعة، ولم يطعن عليه في سب، ولم يسأب أحدٌ في شيبته، ولم يسبَّ أحدٌ في كهولته"<sup>(٣)</sup>.

(١) نفسه، ص ٦٠١.

(٢) نفسه

(٣) نفسه، ص ٦٠٢.

## الخاتمة:

يتضح مما سبق أن المهلب بن أبي صفرة شخصية عُمانية اكتسبت شهرة عالمية نتيجة مشاركته في الفتوحات الإسلامية في فارس وباكستان والهند وأفغانستان، وإسهاماته في توحيد دعائم المجتمع المسلم في العراق، وأدواره البارزة في الصراع العسكري والفكري في صدر الإسلام.

ويتضح كذلك تفاعل عوامل عدة، منها الزمان والمكان والوعي الفكري للمجتمع الذي ينتمي إليه المهلب بن أبي صفرة في إنتاج شخصيته وكونت المجموع الكلي لسيرته وإنجازاته. وعالمية المهلب ذاتية كامنة في شخصه وشخصيته التي خرجت من محدودية المكان (عمان) الذي ولد فيه، والمجتمع الذي ينتمي إليه (أزد عمان)، ليصبح أحد رجالات الدولة الإسلامية، وقيادياً فاعلاً في توطيد أركانها السياسية والعسكرية والاجتماعية، وشخصية كاريزمية جذبت إليها قادة المجتمع وأفراده من مختلف الطبقات والاهتمامات والانتماءات العلمية والأدبية والسياسية والاجتماعية، وقائداً عسكرياً يعود إلى قدراته العسكرية ومهاراته القتالية واستراتيجياته الميدانية الفضل في توسع الدولة الإسلامية على مساحة شاسعة من الأرض بدءاً من العراق ومروراً بفارس والسند والهند وانتهاءً بأفغانستان، ومؤسساً لأسرة (آل المهلب) التي أنجبت العديد من الشخصيات المؤثرة والفاعلة في التاريخ الإسلامي؛ ليس فقط في عهد الخلفاء الراشدين؛ بل في الحقبين الأموية والعباسية وما بعدها، وليس في عمان وحسب؛ بل في العراق وشمال إفريقيا، والأندلس وغيرها.

كما يتبين أن عالمية المهلب بن أبي صفرة علمية أكاديمية في الدراسات التي عُنيت به، وكذلك عناية الباحثين والمؤرخين والكتاب الذين اهتموا بالكتابة عنه والبحث في تاريخه. وهذا الاهتمام المتجدد والمستمر من قبل الباحثين والمؤلفين والكتاب من مختلف دول العالم والمؤسسات الأكاديمية والثقافية والتخصصات العلمية بالمهلب بن أبي صفرة وتراثه ومآثره، وأسرته أنتجت مادة علمية غزيرة وتعدداً في المناهج التي درست بها شخصيته، وتنوعاً في التفسير والتأويل للأحداث والمنعطفات التاريخية والشخصيات والنتائج والمسببات التي ارتبطت بالمهلب

وزمنه، وهي ظاهرة إيجابية مطلوبة ومحمودة في الأطروحات العلمية والساحة الأكاديمية.

وعالمية المهلب بن أبي صفرة تأتي أن يكون المهلب حكرًا لجهة محددة أو أيديولوجية معينة؛ فهو من حيث البعد التاريخي يشكل أهمية للدول التي وطأت أقدامه ترابها والشعوب التي أثمر في تأريخها وتراثها ولمن أراد أن يتناوله بالدراسة والتحليل من العلماء والكتاب والباحثين؛ فالمهلب عُمانى الأصل والنشأة، وأهميته التاريخية عربية إسلامية شاملة، وتناوله الباحثون والمؤلفون من مناطق مختلفة من العالم.

وتوصي الدراسة بضرورة الاستمرار في دراسة التراث المتصل بالمهلب بن أبي صفرة، والاهتمام بالإنتاج العلمي الأكاديمي المتوافر حاليًا عن المهلب وآل المهلب وتقحيحه وتحقيقه وتوفيره للقراء والمهتمين.

## المراجع:

١. الإزكوي، سرحان بن سعيد، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ٢٠١٣.
٢. العوتبي سلمة بن مسلم، الأنساب، تحقيق: د. محمد إحسان النص، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ٢٠١٦، ج٢.
3. AlNaboodah, Hassn (2006). Oman. In Mery, Josef (Ed.). Medieval Islamic Civilization: an encyclopedia Vol. 2. London: Routledge.
4. Hinds, Martin (1984) The First Arab Conquests in Fārs, Iran, 22:1, 39-53, DOI: 10.1080/05786967.1984.11834297
5. Hinds, Martin (1991). An early Islamic family from Oman: Al-Awtabi's account of the Muhallabids. Manchester: University of Manchester.
6. Van-Riel, J.H. (2012). The Ibādī Traders of Bilād al-Sūdān. Unpublished Master thesis, The American University in Cairo, School of Humanities and Social Sciences.
7. Wink, Andre (2002). Al-Hind, the Making of the Indo-Islamic World. Boston, Brill Academic Publishers, , ISBN 0-391-04173-8.
8. Yusuf, S. M. (1943). Al-Muhallab bin Abi Sufra: his strategy and qualities of generalship. Islamic Culture. Vol. XVII, No. 1, pp 1-14.
9. Yusuf, S. M. (1944). Al-Muhallab bin Abi Sufra. Vol. XVIII, No. 2, pp 131-144.